أشكال الخطاب الديني على اليوتيوب

Forms of religious speech on YouTube

د/ عريق لطيفة
جامعة الوادي-الجزائر، *latifa.arigue@gmail.com*)

تاريخ الاستلام 2021/08/23 تاريخ القبول 2021/12/25

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية لمحاولة التعرف عن أهم أشكال الخطاب الديني على اليوتيوب، فتم التطرق إلى كل من مفهوم الخطاب، الخطاب الديني، اليوتيوب، وكذا أهم خصائص وسمات، مستويات وأنواع الخطاب الديني، كما تم تناول أهم أشكال الخطاب الديني الإسلامي على اليوتيوب.

حيث تبين أن أهم أشكال ومظاهر الخطاب الديني على اليوتيوب تمثلت في الخطاب الديني التقليدي والمعاصر، هذا الأخير نتيجة لضعف الرقابة على اليوتيوب أدى إلى ظهور أشكال عديدة من مظاهر التدين البعيدة كل البعد عن التدين الصحيح الأمر الذي شكل صراع بين الدعاة والمشايخ ومقدمي المحتوى الديني على اليوتيوب نتيجة لتعصب كل منهم لآرائه الدينية وتمسكه بها، هذا الصراع الذي بدوره انتقل إلى الأفراد على أرض الواقع، وفي أغاب الأحيان حتى دونما أن يعلم هؤلاء الأفراد أنهم بدورهم في دائرة هذا الصراع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني- اليوتيوب.

Abstract:

The current study aims to identify the most important forms of religious speech on YouTube. The concept of speech , religious speech, YouTube, as well as the most important characteristics and features, levels and types of religious speech are addressed.

As it turned out that the most important forms and manifestations of religious speech on YouTube were the traditional and contemporary religious speech, the modern religious speech as a result of the weak control over YouTube that led to the emergence of many kinds of religiosity far from true religiosity, which formed a conflict between preachers, sheikhs, and providers of religious content on YouTube as a result of their intolerance and adherence to their religious views. This conflict, in turn, has moved to individuals on the ground, and often these individuals do not know that they, in turn, are in the circle of this conflict.

Key words: *Religious speech - YouTube.*

مقدمة:

تعد شبكات التواصل الاجتماعي من الوسائل التي عززت التواصل بين الأفراد والمجتمعات، ونقلت العلوم والمعارف والثقافات والفنون والديانات... ومن أهم شبكات التواصل الاجتماعي نجد موقع اليوتيوب الذي لاقى رواجا كبيرا منذ نشأته بين الأفراد باختلاف أعمارهم ومستوياتهم العلمية والمادية.

ونظرا لكثرة مستخدميه ومتتبعيه سعت أغلب المؤسسات والقنوات باختلاف نشاطاتها والأفراد باختلاف ما يقدمونه من مضمون سواء لغاية تحقيق الربح المادي، أو لتحقيق مكانة اجتماعية يرغبون في الوصول إليها لاستغلال موقع اليوتيوب عن طريق توظيف أحسن الأساليب لكسب أكبر قدر من المتتبعين والمشتركين.

لكن الأمر الخطير في هذا عندما تعلق الأمر بالجانب الديني، فكثيرا ما نجد من يدعون أنهم يفقهون في الدين يتحدثون ويناقشون في القضايا والمشاكل التي يعاني منها الأفراد والمجتمع حتى دون أن يفقهوا النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة ودون أي دليل يثبت صدق أقوالهم.

مع أن هذا لا يمنع أن هناك قنوات وأئمة ودعاة قدموا عن طريق اليوتيوب مضمون ديني قيم ساعد على فهم ونشر تعاليم الدين الإسلامي السمح سواء عند المسلمين أو غير المسلمين، وكذا تحسن صورة الإسلام والمسلمين، فتعددت بذلك أشكال ومظاهر الخطاب الديني. ومنه جاءت هذه الورقة للتعريف بأهم أشكال الخطاب الديني.

ومنه يمكن أن نطرح التساؤل الآتي: ما هي أشكال الخطاب الديني على موقع اليوتيوب؟

أولا: الدراسات السابقة:

1- دراسة شيخ أعمر الهوارية بعنوان: **تقنيات الاقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية (دراسة في استراتيجية التواصل اللساني)**، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه، وهدفت الدراسة إلى توضيح وتحديد المهارات والقدرات (اللغوية والمرئية) التي يتبعها الخطيب من أجل إنجاح عملية الاتصال اللساني، وكذا توضيح الشروط التي يجب أن تتوفر في الخطبة والخطيب وعناصر العملية الاتصالية التي تضمن دوام تأثير الخطاب.

وتوصلت الدراسة إلى أن: الخطاب الديني وخصوصا المسجدي يسعى لمخاطبة وجدان السامعين والتأثير في عواطفهم نظرا لشدة فاعليته على نفوسهم.

2- دراسة محمد على أبو العلا قنديل بعنوان: **اتجاهات القائمين بالاتصال في المجال الديني من قضية تجديد الخطاب الديني**، حيث هدفت الدراسة إيجاد خطاب ديني دعوي صحيح بعيد عن الدعوة للعنف والقتل وتكفير الغير، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وشملت على عينة مكونة من 250 إمام وخطيب من خرجي جامعة الأزهر، معينين من طرف وزارة الأوقاف المصرية، وعلى أداة الاستمارة، وقد توصلت الدراسة إلى:

- أن تجديد الخطاب الديني في المجتمع المصري حدث نتيجة تغيرات مست الجانب الديني، وتحولات مجتمعية شهدها المجتمع المصري مؤخرا.

- أن لتجديد الخطاب الديني لا يجب الابتعاد عن ثوابت وأصول الدين الاسلامي بحيث يشترط أن يتماشى مع وسطية الاسلام، والابتعاد عن الفكر المتطرف والالحادي.

ثانيا: تحديد المفاهيم: تتمثل في:

1- مفهوم الخطاب: تنتمي العبارات المشتقة من جذر (خ. ط. ب) إلى حقول دلالية مختلفة، والخطبة برفع الخاء، هي لون يضرب إلى الكدرة أو هي كذلك الخضرة، واخطب الصيد أي دنا، وأمكن صيده[1].

والخطاب لغة مصدر بمعنى اسم الفاعل، وقد وردت كلمة خطاب في اللغة العربية بعدة معان تتميز عن دلالتها اللسانية الحديثة وإن كانت تتقاطع معها، ومن هذه الدلالات (الكلام)، لقد وردت كلمة (خطاب) في اللغة العربية بمعنى الكلام، وهذا ما ذهب إليه (ابن فارس) بقوله: الخطاب كل كلام بينك وبين الآخر.

وأورد ابن منظور في لسان العرب كلمة (خطاب) بمعنى الكلام، أو ما يتصل بالكلام، فقال: الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. ومنه الخطبة، وهي عند العرب الكلام المنثور السجع.

ومنه قوله تعالى: (... وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) سورة ص الآية 20، قيل في تفسير كلمة (الخطاب) في هذه الآية الكريمة هو الكلام المخاطب به، أو الكلام الذي ينبه المخاطب على المقصود. وذهب بعض المفسرين إلى أن (فصل الخطاب): أما بعد: وداوود (عليه السلام) أول من قال: أما بعد. وقيل إن معنى: أما بعد، ما مضى من الكلام[2].

كما ورد الخطاب في كتاب اللّه بصيغة المصدر وصيغة الفعل على النحو التالي: المصدر جاء في قوله تعالى" ثلاثة مواضع قول الحق: "فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" سورة ص الآية 23، "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" سورة ص الآية 20، وقوله تعالى: "رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" سورة النبأ الآية 37.

وفي صيغة الفعل وردت كلمة الخطاب في ثلاث مواقع في قول اللّه تعالى: "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا"، و "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" سورة الفرقان الآية 63، "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ" سورة هود الآية 37.[3]

ومن الخطاب أيضا الخطب وهو الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، كما أن الخطب يأتي بمعنى الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، ومنه أيضا الخطب، وهو الذي يخطب المرأة وجمعه أخطاب، وهناك من ذهب إلى القول بأن (الخطاب) هو توجيه الكلام، أي توجيهه نحو الغير للإفهام.

هذه الدلالات التي وردت بها كلمة (خطاب) سواء أكانت بمعنى (الكلام) أو (مراجعة الكلام) أو (توجيه الكلام) توحي بأن الكلمة متداولة في اللسان العربي قديما، ولكن الدلالة الحديثة الموظفة في الخطاب الحداثي تختلف عن هذا المعنى التراثي القديم، وإن كانت تتقاطع معه أو تتضمنه.

ولهذا فكلمة (خطاب) في الكتابات الحداثية المعاصرة توظف مترجمة عن الدلالة الأجنبية (Discours) كما هي في اللغة الفرنسية مثلا، وهذه الكلمة شاع توظيفها بفعل التطور الذي عرفته اللسانيات الحديثة، ومن ثم عرف المصطلح توظيفا واسعا في مجال النقد الأدبي واللسانيات، ثم صار يستعمل في سائر المجالات المعرفية كالفلسفة وغيرها.

ففي معجم (لاروس) وردت هذه الكلمة (Discours) في معناها العام بأنها تدل على ظاهرة فعلية أو قولية، أو كتابية لتحديد إيديولوجيا معينة أو لتحديد حالة عقلية في ظرف مهم بالنسبة لمجال معين، ومثل هذا التعريف هو الأقرب للاستعمال في الخطاب الحداثي العربي من المعاني السابقة الواردة في اللغة العربية، وهذا من الأمور التي ينبغي أن يشار إليها، لأن مصطلح نفسه آلية من آليات القراءة التي سيكون لها تجل في الرؤية لا شك في ذلك.

ثم بتطور البحث اللغوي عند الغربيين في التاريخ المعاصر صارت مدلولات (الخطاب) تسير في خطين رئيسيين: أولهما علم تحليل الخطاب، وهو المجال الأسلوبي اللغوي، والثاني بعض الاستعمالات في النقد ما بعد البنيوي[(4)].

كما تكمن خلف كلمة (خطاب) في حالات عديدة الفكرة العامة المتمثلة في أن اللغة (مهيكلة بحسب أنماط مختلفة تخضع لها الأقوال البشرية عند المشاركة في مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، ومن الأمثلة المألوفة على ذلك (الخطاب الطبي) و(الخطاب السياسي)[(5)].

إن هذا التعدد في تحديد مفهوم الخطاب يعود بالأساس إلى تعدد مجالات الخطاب وتعدد الاتجاهات التي تمثل منطلقا لكل تعريف، لذلك يجب أن نضع كل مقاربة في فهم الخطاب ضمن إطارها الفلسفي والفكري لنتمكن من فهمها الفهم السليم[(6)].

2- مفهوم الخطاب الديني: أكثر الخطابات عمومية بكل أشكاله ومدارسه وتنوعاته سواء أكان مقدسا أم دنيويا، إلهيا، أم إنسانيا، وحبا أم إلهاما، نقلا أم عقلا، يمتاز الخطاب الديني بأنه سلطوي أمري إذعاني يطالب بالإيمان بالغيب بالقضايا العقدية، ويعتمد على التصوير الفني وإثارة الخيال والحياة المستقبلية وما بها من وعود وخلاص من آلام البشر[(7)].

كما يعرف بأنه: ليس المقصود بالخطاب الإسلامي (الديني) الإسلام ممثلا بنصوص الوحي من القرآن والسنة، (النص الديني) لأنه رسالة كاملة شاملة لكل ما يحتاج إليه البشر عبر مختلف الأزمنة والأمكنة، وإنما القصد هو (خطاب المسلمين) أفرادا وجماعات الذي يمثل فهمهم للإسلام وقراءاتهم نصوصه ونطقهم أفكاره ومفاهيمه وتعاليمه وآدابه وحكمه وتشريعاته[(8)].

3- مفهوم اليوتيوب: موقع إلكتروني يسمح ويدعم نشاط تحميل وتنزيل ومشاركة الأفلام بشكل عام ومجاني، وهو يسمح بالتدرج في تحميل وعرض الأفلام القصيرة، من أفلام عامة يستطيع الجميع مشاهدتها إلى أفلام خاصة يسمح فقط لمجموعة معينة بمشاهدتها.

وقد تأسس موقع اليوتيوب في فبراير سنة 2005م بواسطة ثلاثة موظفين سابقين في شركة (باي بال) هم (تشاد هيرلي) و(ستيف تشين) و(جاود كريم) في مدينة كاليفورنيا[(9)].

كما يعتبر من الوسائط التفاعلية التي تحتوي عليها شبكة الانترنت واحتوائه على مقاطع الفيديو السمعية البصرية وحتى التفاعلية، التي تمكن الأفراد من رفعها وإنزالها والتعليق عليها، بل يعتبر من أكثر مواقع الأنترنت متابعة لخصائصه التي تميز بها عن باقي المواقع الأخرى، وتوفيره لمختلف المعارف في مختلف المجالات والجوانب بسهولة وأكثر سرعة[10].

وأصبح اليوتيوب اليوم موقعا رئيسيا للفنانين والسياسيين والهواة على حد سواء لبث مقاطع الأفلام الخاصة بترويج أفلامهم أو أغانيهم أو منتجاتهم للعامة ومجانا، بل تطور اليوتيوب لتستخدمه الجامعات والحكومات لبث برامج التوعية أو الحصص الإلكترونية عبره[11]، كما شكل ملاذا للكثير من الدعاة والأئمة لتوصيل رسالة الدين الإسلامي.

ومن مميزات اليوتيوب أنه عام ومجاني-داعم لتحميل الأفلام-سهل الاستعمال من قبل العامة-سهل المشاهدة-سهل البحث-الرقابة (يسمح بتحديد من يشاهد الفلم) -أداة رائعة للترويج-ميزة البث المباشر[12].

ثالثا: سمات وخصائص الخطاب الديني: تتمثل في:

1- سمات الخطاب الديني: ينبغي أن يلتزم الخطاب الديني ببعض الركائز والسمات، وهي:

أ- رباني المصدر والمنشأ: أي أن يستمد قيمه ومبادئه من التعاليم الإسلامية.

ب- وسطي: الخطاب الديني يجب أن يراعي التوازنات بين العقل والوحي، وبين الحقوق والواجبات.

ج- منوع ومتجدد: أن الناس مختلفون وكل منهم له مذهب مختلف فيجب مراعاة ذلك[13].

عموما يمكن تحديد سمات الخطاب الديني فيما يلي: الشمولية-الواقعية-معايشة للأمة وقضايا الساعة-الحق والصدق-النصيحة-الأمانة والنزاهة-الحكمة-الثوابت والأصول والمتغيرات والمستجدات-الخطاب الديني وترتيب الأولويات والمقصود بترتيب الأولويات هنا تلك القضايا التي تشد حاجة الجمهور لسماعها أو معرفة حكم الشرع فيها أو تحليل جناياها[14].

2- خصائص الخطاب الديني: حسب بعض الباحثين فإن أهم ما يجب أن يتصف به الخطاب الديني هو:

أ- الإيجابية في الطرح والدفع بالتي هي أحسن وذلك استنادا إلى قوله تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). سورة فصلت، الآية 34.

ب- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك امتثالا لأمر الله تعالى في قوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ). سورة النحل، الآية 125.

ج- فهم المرحلة والعصر وتحديد حاجاته، من الضروري أن يتعايش الخطاب الديني مع كافة المراحل والعصور ورياح التغيير.

د- تكوين الرأي العام الجماهيري الإسلامي، يجب أن يتناول كل ما يهم المسلمين ويجمع كلمتهم حول كل أمر يرفع من شأن الأمة الإسلامية[15].

رابعا: أنواع الخطاب الديني: إن الناظر في الواقع الفكري في فضاء الإسلام السني، الذي يمثل 90 بالمئة من عالم الإسلام وأمته، يجد:

1-خطاب الوسطية الإسلامية: يتميز هذا الخطاب في نظرية المعرفة باعتماد كل من الوحي -كتاب اللّه المسطر- والكون وعالم الشهادة- سنن اللّه في الأنفس والآفاق -كتاب اللّه المنظور- اعتماد هذين المصدرين والكتابين مصدرا للعلم والمعرفة، والقراءة لهما وفيهما معا. والاعتماد -في سبيل المعرفة وآلياتها وطرائقها- على كل من:

(العقل) و(النقل) و(التجربة) و(الوجدان) لتصبح الثقافة الإسلامية والخطاب الإسلامي مزيجا من ثمرات هذه المصادر والآليات والروافد جميعا، ففي هذا الخطاب يرقق القلب والوجدان الحسابات المجردة للعقول كي ينقذها من الجفاف، وتضبط الحسابات العقلية وتوقظ خطرات القلوب وإلهاماتها كي لا تتحول إلى شطحات، وينفذ النور القلبي والنظر العقلي النص والنقل الديني من الحرفية والجمود، ويسهم كل ذلك في خلق فلسفة إيمانية لتطبيقات حقائق وقوانين علوم (التجربة والحواس) –العلوم الطبيعية والمادية- لتكون هي الأخرى علوما مؤمنة، يصبح علماؤها هم الأكثر خشية للّه – سبحانه وتعالى- خالق المادة التي فيها يبحثون، والعقل والحواس التي بها يكتشفون الأسرار التي أودعها، سبحانه، في مادة هذه العلوم، فيصبح العلم المادي، في هذا الخطاب الوسطي سبيلا لتعميق الإيمان الديني، والعقلانية المؤمنة، وليس كما حدث في الغرب –الذي وقف في مصادر المعرفة عند الواقع المادي وحده، وفي سبيل المعرفة عند العقل والتجربة وحدهما، سبيلا لإحلال العلم محل الدين، وجعل الدين (طبيعيا) لا إلهيا.

هذه هي معالم خطاب الوسطية الإسلامية، الجامعة والمتجدد، خطاب الهدايات الأربع: العقل والنقل والتجربة والوجدان، كما كان يسميها الإمام محمد عبده، وهذا الخطاب الوسطي هو أوسع الخطابات ذيوعا وانتشارا في عالم الإسلام.

2-الخطاب الصوفي: الذي يركز أكثر وأكثر على خطوات الوجدان، وعلم القلوب، والإلهامات والفيوضات التي تثمرها المجاهدات الروحية، وهو خطاب له أهله، العارفون بمقاماته وأحواله، الذين يمثلون -في هذه الأرض- ما يمثله الملح للطعام: ضرورة لا غناء عنها، لكنها لا تكفى وحدها.

وهناك، في داخل هذا الخطاب الصوفي ألوان من التنوع والتعدد، حسب درجات المقامات والأحوال ووفق درجات الالتزام بأحكام الشريعة ومنطقها، وهو -بالطبع- مغاير لما في كثير من (الطرق) الصوفية من بدع وخرافات لا علاقة لها أصلا بأي أصل من أصول الإسلام، ولا قبول لها بأي معيار من معايير عقلانية الإسلام.

3- ثالث هذه الخطابات الدينية في الفكر الإسلامي المعاصر، هو الخطاب النصوصي: الذي ينفر أصحابه من النظر العقلي، فيقفون فقط عند حرفية ظواهر النصوص، دون إعمال للعقل في مقاصد هذه النصوص[16].

هذا هو اللون الثالث من ألوان الخطابات الدينية الإسلامية، في واقعنا الإسلامي –التاريخي منه والحديث والمعاصر- وحجم هذا الخطاب وحجم جمهوره -كما يعلم كل ذي علم- محدودان، بل وهامشيان إذا ما قيسا بحجم وجمهور خطاب الوسطية الإسلامية.

4-ورابع ألوان الخطاب الديني الإسلامي، في واقعنا المعاصر، هو خطاب الرفض والغضب والعنف والاحتجاج: وهو خطاب يمثل فصيلا من فصائل فقه وفكر نصوصية الجمود والتقليد، الذي استفزه بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب واستبداد النظم والحكومات... فرفض هذا الفصيل طريق (الإصلاح) واختار طريق (العنف)، وأدار ظهره لسنة (التدرج) في الإصلاح، وتعجل القفز على (السلطة والدولة) -بالانقلاب- بدلا من مشاق طريق التربية والتوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية، بإعادة صياغة إنسانها صياغة إسلامية تستكمل إسلامية سجايا وشمائل هذا الانسان، وهو الطريق الشاق والطويل –والمضمون- للتغيير، الذي مثل ويمثل منهاج الإسلام في أي تغيير[17].

وإذا كانت الظواهر الفكرية والاجتماعية والإنسانية، هي كمثل الانسان، له عقل، وجسم، وعضلات، وأنياب وأظافر، فإن فصيل العنف، والرفض، والغضب، والاحتجاج هذا –وخطابه الديني-هو بمثابة (الأنياب والأظافر) في الظاهرة الإسلامية المعاصرة، ولقد رأينا كيف انفلتت هذه (الأنياب والأظافر) من حاكمية العقل الإسلامي فأصبحت تنهش الذات الإسلامية وتزعزع استقرار المجتمعات الإسلامية، وتهز هيبة النظم والدول الوطنية، فتخدم بذلك مخططات الأعداء، مع حسن نية وبراءة ظاهرتين لدى شباب هذا الفصيل.. بينما رأينا هذه (الأنياب والأظافر)، وعندما خضعت لحاكمية العقلانية الإسلامية، توجه قوتها فقط إلى الأعداء، فتمثل أنبل ظواهر العصر في الفداء والاستشهاد بمعركة تحرير أرض الإسلام ومقدساته من دنس الصهيونية والاستعمار[18].

خامسا: مستويات الخطاب الديني الإسلامي: يرى (محمد الفران) في كتابه (مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر) أن الخطاب الديني الإسلامي المعاصر، ينقسم إلى مستويات خمسة:

1- المستوى الأول: مستوى خطاب الإسلام الأصيل: وهو من اختصاص العلماء والفقهاء الذين يعتبرون أنفسهم القيمين عليه والذائدين عن حياضه.

2- المستوى الثاني: مستوى الخطاب الإسلامي الشعبي: وهو في الواقع المرجع لأغلبية المسلمين في العالم العربي، ويتضمن مسائل الممارسة اليومية للشعائر الدينية لدى العامة التي تتصف بالمعرفة البسيطة، وتتسم بواقعية الالتزام الروحي.

3- المستوى الثالث: مستوى الخطاب الإسلامي السياسي: وتتعدد مشاربه ومراتبه، وتتفاوت بين السلم والتسامح، وبين التطرف والعنف، وهو خطاب حركي ينتهجه مثقفون، هدفهم إنشاء دولة إسلامية، ويقدمون نماذج اجتماعية وسياسية للمجتمع الإسلامي بناء على قراراتهم وقناعاتهم.

4- المستوى الرابع: مستوى الخطاب الإسلامي الرسمي: وهو خطاب رسمي يعكس دين الدولة، لا من منطق الممارسة الاجتماعية للشعائر، بل من حيث إنه مكونا من مكونات المنظومة الدستورية المكتوبة والتي تحدد الوظائف داخل الدولة.

5- المستوى الخامس: مستوى الخطاب الديني العلماني: ويتسم بمظهرين:

أ: مظهر يتسم بالقطيعة مع الدين جملة وتفصيلا، فأصحابه يقدمون خطابا حول الدين لا يمس مستوى المعتقد إلا مسا خفيفا، وغالبا ما يركزون على علاقة الدين بالسياسة.

ب: ومظهر ثان لا يقوم على القطيعة مع الدين الإسلامي، بل يحاول أن تكون القطيعة بين المستوى الديني من جهة والمستوى الدنيوي من جهة ثانية، ومن مبادئه:

- اعتبار الشريعة الإسلامية مكونا من مكونات الهوية التي من حق الشعوب الإسلامية أن تختارها لنفسها بحرية وطواعية.
- لا يجوز أن ينتهك هذا الحق الجماعات التي تدين بمعتقدات أخرى.
- تبقى الشريعة الإسلامية بالنسبة لهذا الخطاب ذات أهمية بالغة في تكييف مواقف المسلمين.
- ضرورة إيجاد التوافق بين قضايا الشريعة والمبادئ المتعارف عليها[19].

سادسا: أهم أشكال الخطاب الديني الإسلامي على اليوتيوب:

لا يمكن للخطاب الديني أن يبتعد في جوهره ومضمونه وفحواه عن الإسلام نفسه في جوهره، لأنه المعبر عنه والمترجم له، فإذا كان الإسلام في أصله ومضمونه أنه جاء للهداية والخير والفلاح وإرساء قواعد الحق والعدل وضمان السعادتين، سعادة الدنيا والآخرة، فإن الخطاب الديني لا يجوز أن ينقص عن هذا أو يعدوه، وسواء كان هذا الخطاب درسا فقهيا أو حصة قرآنية أو محاضرة ثقافية، أو فتوى شرعية أو كتابا أو مقالة أو رسالة جامعية أو ندوة علمية أو خطبة في يوم جمعة أو عيد أو لقاء تلفزيونيا، أو برنامجا إذاعيا أو احتفالا بمناسبة دينية أو فيلما سينمائيا أو وثائقيا أو عملا فنيا تلفزيونيا أو مسرحيا أو إلى آخره كل ذلك يجب أن يكون نسخة صحيحة موثقة عن الإسلام نفسه.

إذن كما يرى (د. أحمد كمال أبو المجد) أن الخطاب الإسلامي لا يتعلق بالنص الديني، قرآنا كان ذلك أو سنة، فكتاب اللّه كلام اللّه سبحانه وهو حق كله، وحكمه كله، ونور كله، وهو محفوظ بحفظ اللّه تعالى كما يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر الآية 9، وأحاديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) هي الأخرى، وهي يوحي المعنى فيها من عند اللّه سبحانه واللفظ من عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) الذي أولى جوامع الكلم.

أي أنه خطاب يمتاز بالأصالة وتمتد جذوره عميقة تضرب في الأرض كما أنه يهتم بالعلم ويدعو إلى التقدم والرقي، ويتطلع إلى اليوم الذي تعود فيه الأمة الإسلامية إلى ريادتها التي فقدتها في غفلة من الزمن.

إذن الخطاب الديني في أصوله وأسسه لا يتغير، لكن الذي يتغير هو الأسلوب أو الطريقة وعلى ذلك يمكننا القول بأن الخطاب الإسلامي ليس هو خطاب الإسلام ممثلا بنصوص الوحي من القرآن أو

السنة، وإنما هو خطاب الإسلاميين في التعبير عن الرسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون[20].

ومنه يمكن القول أن الخطاب الديني يتميز بالتجديد ضمن إطار عقيدة الإسلام، ويرتبط مضمونه بما يحتاجه المسلمون، ويكون المقصد منه هو حل ومعالجة التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، وهو خطاب يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومصادر التشريع الإسلامية الأخرى كالإجماع وغير ذلك، يسعى الخطاب الديني لنشر الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقا ومعاملات، لغايات تعليم الناس كل ما هو نافع لهم في الدنيا والآخرة، وبذل كل الجهود في سبيل خدمة هذا الدين امتثالا لأمر اللّه سبحانه وتعالى، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام[21].

كما لا يوجد شك في إجماع الأمة وحثها على الدعوة إلى الإسلام وعبر كل الوسائل المتاحة لذلك، ويستدل على ذلك باستخدام الرسول الكريم (صلى اللّه عليه وسلم) للكتب وإرسالها إلى حكام المناطق المجاورة للجزيرة يدعوهم فيها للدخول إلى الإسلام، فالأصل هو الدعوة إلى هذا الدين الحنيف بجميع السبل المتاحة.

واليوم سخر اللّه لنا التكنولوجيا ومنها شبكات الانترنت لنشر هذا الدين، كما سخر لنا البغال والحمام والسفن لنقل رسالة الرسول الأعظم، وقد أتاح ابتكار مواقع التواصل الاجتماعي من تسخير طريقة جديدة لهذه الدعوة، فاليوم انتشرت العشرات من المدونات ومواقع التواصل الداعية إلى الإسلام والناشرة للكتب والمعلومات الفقهية، مما سهل من عملية البحث في كنوز هذا الدين العظيم، وكذلك سهلت تلك المواقع من التواصل بين الفقهاء وتلاميذهم أو مع جمهور العامة، ومنها مواقع الفقهاء أو الجامعات الإسلامية مما يساهم في تسريع نشر رسالة الإسلام ودحض التهم ضده أمام العالم.

فصراع الحضارات والأديان اليوم تجري رحاها على صفحات مواقع الانترنت، وهو ميدان مفتوح أمام الجميع، واليوم توجد آلاف المواقع التبشيرية الجاذبة للشباب، مما يستلزم تسخير هذا السلاح الجديد للدفاع عن قضايا الأمة، والتقرب من شبابنا عبر مواقع التواصل وإيصال رسالة ديننا الحنيف للعالم أجمع بصورة واضحة جميلة، لا كاذبة ومشوهة.

ويمكن المساهمة للدعوة إلى الإسلام عبر الانترنت ومواقعه الاجتماعية من خلال:

- إنشاء المدونات ومواقع التواصل الاجتماعي الداعية إلى الإسلام، ونشر معلومات صحيحة وموثقة عن هذا الدين الحنيف، مثل إرسال رسالة تحتوي على حديث شريف عبر تويتر للمشتركين، أو تحميل أفلام دعوية بجميع اللغات على اليوتيوب أو إنشاء صفحات على الفيس بوك لدحض تهم الإرهاب وصفة العنف والتخلف عن هذا الدين الجميل.

- المساهمة بالمواضيع والمقالات عبر المواقع الدعوية، أو المساهمة بالجهد التقني أو المال لدعم العلم الشرعي عبر هذه المواقع وهكذا.

- الابتعاد عن المشاركة في المواقع التكفيرية، أو التي تدعو للعنف أو المحرضة على الفتنة بين المسلمين.

- نقاش غير المسلمين عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتوضيح سماحة وجمال هذا الدين[22].

إذ انبثقت هذه الثورة الهائلة التي تمثل مجالها العالم الافتراضي الذي فتح للديني عامة وللإسلامي خاصة مسالك طارئة في إدارة الجموع المؤمنة، وفي صناعة المعنى، وفي ممارسة السلطة، فالفضاء الافتراضي يقدم كما هائلا من الخدمات بطرق ميسرة وحينية وغير مكلفة وترضي جميع احتياجات المستخدمين، إذ يقع استحداث أكثر من 7 ملايين صفحة ويب يوميا، بينما يتم تحديث مليون صفحة ويب بشكل يومي متواصل ويمارس قرابة 25٪ فعل القراءة المباشرة للكتب والمجلات، أما التحميل فقد بلغ مستويات قياسية تعكس حجم السوق الافتراضية القائمة، وتتنوع الأنشطة الدينية في المجال الافتراضي بين التحميل والبحث عن معلومات والاستشارات والأنشطة الطقسية الأخرى كالصلوات والأعياد[23].

إلا أننا من جهة أخرى نجد أن خطاب الإعلام الجديد ممثلا في اليوتيوب قدم للأفراد الرغبة في الاستهلاك للمعرفة الدينية، دون الحاجة للكثير منها، وهي بدورها أوجبت بروز الكثير من الاختلالات بالتدين، وعمقت من تلك التجاوزات الثقافية والتقليدية، التي أعازت إلى تغيير المجتمعات وإعادة صياغتها وربطها بما يشكله المضمون الديني الإعلامي لهذا الخطاب، المغرق في المثالية والمتخيل، الذي يزرع التدين بشكله (اليوتوبي الحالم) الذي يخرج الأفراد مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، وهي بمثابه الإشكالية الحقيقية للإعلام الجديد، حيث لا يقين ولا حقيقة، فقط آمال وتخيلات يطرحها شيوخ الافتراض، لأمة افتراضية، وهذا ما يعيق من صعوبة تطبيق تلك المعرفة الدينية، التي يلزم الكثير من الأفراد بها، كالجهاد والردة ودار الكفر وغيرها، وأن أغلب ما تقدمه الميديا في أشكالها الدينية معتوقة من الشروط الفعلية لقيام التدين الصحيح، لأن ارتباط أي قضية تكون بـ(مقاصدها ووسائلها) وحتى الزمان والمكان والبيئة والحالة لمن يريد المعرفة الدينية[24].

وهنا ندرك ما يحتدم من الصدامات والصراعات بين مختلف المعارف على اليوتيوب، التي سرعان ما تتحول إلى المسرح الواقعي بين الأفراد وبناء أنماط متنوعة من التدين، تعتمد على أفهامها وتشكيل انتماءاتها على تلك القضايا والأحكام الفقهية، التي تبثها مقاطع الفيديو، وتعصب كل فرد لشيخ أو داعية يكون متأثرا باجتهاداته وآرائه الدينية، وهو ما يرهن الفاعلين بقدر كبير من اللاواقعية، التي يشكلها التحرر الديني من الرقابة، مما يؤدي بكثير من الأفراد إلى اعتناق بعض القيم والمعتقدات التي تجبرهم على تبني أفكارها قسرا وليس اختيارا بممارسة هيمنة رمزية مستترة بدلالة (**بيار بورديو**) لا يدركها، لتأثر على توجهاتهم عبر القدرة المعرفية الموصولة بقداسة الدين أيضا، الذي يبثها النموذج الارشادي الغير منضبط بمرجعية محددة على اليوتيوب في عصر ملئ بالصراعات الطائفية والاستقطابات الفكرية، التي تقصي وترفض العديد من قيم الحوار، ويأتي الاعلام الجديد كانعكاس حي لما يحدث بين الأفراد في المؤسسات والتعاملات اليومية[25].

فهذا النوع من الخطاب هو عبارة عن مأسسة استدعتها طبيعة المجتمع الشبكي بثورته الاتصالية ومنواله الاقتصادي الذي بعثر الثقافات والمجتمعات وأطاح بمفاهيم الهوية والأمة، فنشأت سوق دينية جديدة لها سلعها وجمهورها وقوانينها المخصوصة فرضت منوالا في الاتصال قائما على النفاد الحر إلى المعلومة التي يديرها فاعلون دينيون وسياسيون تحكمهم رهانات وتوترات أذكت ثقافة التكفير وعمقت روح الصدام مع الآخر على تباين صوره، لذا تكيفت النخب الدينية والعالم الافتراضي بأن اصطنعت خطابات إلكترونية لها استراتيجياتها المتنوعة المتكاملة في تناغم مع أنظمة سيميائية متعددة تجمع المكتوب والمرئي والسمعي لتخلق سحرا إلكترونيا لم ينقطع عن أصوله التراثية بطاقتها الروحية والعلمية في إدارة جموع المسلمين، رغم تباين المجالات والبيئات، وهو ما خلق تشظيا في الخطاب الإسلامي وفي الجسد الجمعي للمؤمنين معا يثير أسئلة عن طبيعة السلطة الشرعية والتدين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة[26].

أي أن ما تشهده المجتمعات العربية من التطرف والعنف، كان نتاجا لتحرر المعرفة الدينية بدرجة كبيرة، وتزامنها مع التردي السياسي والمجتمعي للوطن العربي، التي ألفت تلك المشاهد المتنافرة بين العديد من الأنماط الدينية داخل الدولة الواحدة، وهنا نجد أن كل المعتقدات والجماعات والطوائف، حركت مؤسساتها نحو الافتراضي، الذي ساهم في تعميق قوة الخطابات الدينية والفتاوى والمواعظ[27].

خاتمة:

يحتوي موقع اليوتيوب على مختلف الخطابات، الفتاوى والدروس والمواعظ للدعاة، الذين أصبحوا أكثر نجومية، وتأثر الأفراد بما يقدموه من القضايا، خصوصا تلك المتعلقة بالمستجدات والنوازل الفقهية[28]، التي ساعدت بدورها الأفراد على التثقف في دينهم والقيام بالأعمال الصالحة ونبذ كل ما هو دخيل عن تعاليم الدين الإسلامي.

كما يحتوي موقع اليوتيوب على قنوات أخرى منها قنوات تبشيرية، وأخرى تكفيرية متخفية في كثير من الأحيان تحت راية الخطاب الديني المعاصر، فوجد الكثير من الأفراد أنفسهم متابعين لهذه الفيديوهات ويطبقون ما جاء فيها من أفكار ويتبنونها في حياتهم اليومية دون وعي منهم لخطر هذه الأفكار على عقيدتهم ودينهم. فموقع اليوتيوب فضاء تواصلي له سلاح ذو حدين وجب التفطن والوعي لمضمونه ومحتواه.

الهوامش:

(1) بسمة بلحاج، رحومة الشكلي، نور الهدى باديس، كورنيليا فون راد صكوجي، بسمة عروس، هشام القلفاط، (2008)، مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص24.

(2) مرزوق العمري، (2012)، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، الرباط، دار الأمان، الجزائر، منشورات الاختلاف، لبنان، منشورات ضفاف، ص73.

(3) بسام عبد الرحمان المشاقبة، (2014)، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص ص 99-100.

(4) مرزوق العمري، مرجع سابق، ص ص 73-74.

(5) ماربان بورغنسن، لويز فيليبس، (2019)، تحليل الخطاب (النظرية والمنهج)، ترجمة شوقي بوعناني، البحرين، هيئة البحرين للثقافة والآثار، لبنان، توزيع منتدى المعارف، ص13.

(6) بسام عبد الرحمان المشاقبة، مرجع سابق، ص 21.

(7) المرجع نفسه، ص 113.

(8) هوارية شيخ أعمر، (2015/2014)، تقنيات الاقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية كدراسة في استراتيجية التواصل اللساني، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران (السانيا)، الجزائر، ص18.

(9) خالد غسان يوسف المقدادي، (2013)، ثورة الشبكات الاجتماعية (ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها التقنية- الاجتماعية- الاقتصادية- الدينية- والدينية على الوطن العربي والعالم)، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ص 43.

(10) الجيلالي رقاد، (2018)، الخطاب الديني لمواقع اليوتيوب وأزمة الضبط المرجعي للتدين السائل دراسة ميدانية لعينة من الشباب، مجلة الدراسات الإعلامية، (5)، برلين، المركز العربي الديموقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، ص30.

(11) خالد غسان يوسف المقدادي، مرجع سابق، ص44.

(12) المرجع نفسه، ص ص 44-45.

(13) محمد برعوز، الخطاب الديني والسياسي... من يملك التأثير الأكبر علينا كمجتمعات: تاريخ الاسترجاع: 2021/02/10. من: https://www.aljazeera.net/blogs/2018/9/22/%D8%A7%

(14) محمد على أبو العلا قنديل، (2014)، اتجاهات القائمين بالاتصال في المجال الديني من قضية تجديد الخطاب الديني (دراسة ميدانية)، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، 13 (2)، مصر، جامعة القاهرة، مصر، ص 382.

(15) حسين نايلي، (د.ت)، تجديد الخطاب الإسلامي في ظل تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي –قراءة لعينة من الصور الدينية عبر شبكة التواصل الاجتماعي –فيس بوك-، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 6 (1)، تاريخ الاسترجاع 2021/02/12، ص 238، من: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/65397

(16) محمد عمارة، (2007)، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، القاهرة، مكتبة الشروق، القاهرة، ص ص 14-16.

(17) المرجع نفسه، ص ص 17-18.

(18) المرجع نفسه، 19.

(19) أحمد لعويجي، (2019)، بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك نموذجا)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، 6، ص61.

(20) محمد على أبو العلا قنديل، مرجع سابق، ص ص 385-386.

(21) محمد برعوز، مرجع سابق.

(22) خالد غسان يوسف المقدادي، مرجع سابق، ص ص 236-237.

(23) محمد سويلمي، استراتيجيّات التكفير في الخطاب الإلكتروني، تاريخ الاسترجاع 2021/01/12، من: https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7

(24) الجيلالي رقاد، مرجع سابق، ص34.

(25) المرجع نفسه، ص35.

(26) محمد سويلمي، مرجع سابق.

(27) الجيلالي رقاد، مرجع سابق، ص37.

(28) المرجع نفسه، ص44.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

- بورغنسن، ماربان. فيليبس، لويز، (2019)، تحليل الخطاب (النظرية والمنهج)، ترجمة بوعناني، شوقي. البحرين، هيئة البحرين للثقافة والآثار، لبنان، توزيع منتدى المعارف.
- عمارة، محمد، (2007)، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، القاهرة، مكتبة الشروق، القاهرة.
- العمري، مرزوق، (2012)، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، الرباط، دار الأمان، الجزائر، منشورات الاختلاف، لبنان، منشورات ضفاف.
- المشاقبة، بسام عبد الرحمان، (2014)، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- المقدادي، خالد غسان يوسف، (2013)، ثورة الشبكات الاجتماعية (ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها التقنية- الاجتماعية- الاقتصادية- الدينية- والدينية على الوطن العربي والعالم)، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع.

2- المقالات:

- برعوز، محمد، الخطاب الديني والسياسي... من يملك التأثير الأكبر علينا كمجتمعات: تاريخ الاسترجاع: 2021/02/10. من: https://www.aljazeera.net/blogs/2018/9/22/%D8%A7%
- بلحاج، بسمة. الشكيلي، رحومة. باديس، نور الهدى، صكوجي، كورنيليا فون راد. عروس، بسمة. القلفاط، هشام، (2008)، مقالات في تحليل الخطاب، تقديم صمود، حمادي، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- رقاد، الجيلالي، (2018)، الخطاب الديني لمواقع اليوتيوب وأزمة الضبط المرجعي للتدين السائل دراسة ميدانية لعينة من الشباب. مجلة الدراسات الإعلامية، (5)، برلين، المركز العربي الديموقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا.
- سويلمي، محمد، استراتيجيّات التكفير في الخطاب الإلكتروني، تاريخ الاسترجاع 2021/01/12، من: https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7
- قنديل، محمد على أبو العلا، (2014)، اتجاهات القائمين بالاتصال في المجال الديني من قضية تجديد الخطاب الديني (دراسة ميدانية)، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، 13 (2)، مصر، جامعة القاهرة، مصر.
- لعويجي، أحمد، (2019)، بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك نموذجا)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، 6، مسيلة، جامعة محمد بوضياف.

– نايلي، حسين، (د.ت)، تجديد الخطاب الإسلامي في ظل تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي –قراءة لعينة من الصور الدينية عبر شبكة التواصل الاجتماعي –فيس بوك-، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 6 (1)، تاريخ الاسترجاع 2021/02/12، من:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/65397

3- المذكرات:

- شيخ أعمر، هوارية، (2015/2014)، تقنيات الاقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية كدراسة في استراتيجية التواصل اللساني، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران (السانيا)، الجزائر، ص18.